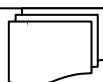


# **التفسير الإشاري للقرآن**

## **مفهومه - أصوله - أقسامه - شروطه**

**د. فيصل محمود آدم**

أستاذ التفسير بكلية القرآن الكريم بالجامعة



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين الواحد الأحد الفرد الصمد ، نحمده تعالى ونشكره على ما له علينا من صنوف الإحسان التي لا يقدر على عدها أو حصرها إنس ولا جان. نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره من كل ذنب عملناه صغيراً أو كبيراً، عن خطأ أو عدم أو نسيان. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قادر. ونشهد أنَّ سيدنا وحبيبنا وشفيعنا مُحَمَّداً عبده ورسوله ومصطفاه سيد ولاد آدم وأول من يقرع باب الجنان، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الظاهرين. وبعد ..

فإنَّ علم التفسير من أعلى العلوم قدرًا ، وأجلها شأنًا ؛ لشدة تعلقه بكتاب الله تبارك وتعالى ، ولقد عرف العلماء لهذا العلم قدره ، فاعتبروا به أتمّ عناية ، واهتموا به أيمًا اهتمام ، جمعوه ووثقوه ، ونافحوا عنه تحريف الغالبين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجahلين ، فبنّوا صحيحه من سقimه ، وما يُقال منه فيروي ، وما يُرْفض منه فيرمي . وإن موضوع التفسير الإشاري - أو استخراج المثل والإشارة من القرآن ونصوص السنة - لمن المواضيع المهمة ، حيث يرى البعض أنَّ التفسير لا يبلغ بناءه وكماله وتمام مصاديقه في تحقيق وفاء معاني التنزيل بتفسير حقائق الوجود بأسره إلا بإعمال المنهج الصوفي الإشاري في التفسير ، ويرى البعض غير ذلك حيث

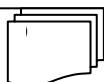


## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شعوّته

اعتبر التفسير الإشاري من قبيل الوجانيات التي لا تستند إلى برهان شرعي قاطع. لذا رأى الباحث أن يدلوا بدلوا ويساهم بفكرة في تحرير قضيابه ومسائله إتماماً للفائدة وتحقيق المصلحة.

وحتى يسهل تناول الموضوع لدى القارئ فقد فسنته إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. تحت كل فصل عدد من المباحث. حيث جاء الفصل الأول بعنوان : مفهوم التفسير الإشاري، واشتمل على ستة مباحث . أما الفصل الثاني فكان بعنوان : أصول التفسير الإشاري، واشتمل على خمسة مباحث . ثم جاء الفصل الثالث بعنوان : آراء العلماء في التفسير الإشاري وشروط قبوله، واشتمل على مبحثين . ثم ذيلته بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج .

أسأل الله العلي القدير أن يجعله صالحًا ، ولو جعله خالصا وأن ينفع به طلاب العلم خاصة، وال المسلمين عامة إله ولـي ذلك وال قادر عليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..



د فیصل محمد آدم

---

الفصل الأول

مفهوم التفسير الإشاري

### المبحث الأول: معنى التفسير في اللغة

جاء في المفردات: **الفسر**: إظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبع عنه **البول**: **تَفْسِيرٌ** ، **والتَّقْسِيرُ** في المبالغة كالفسر ، **والتَّقْسِيرُ** قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها ، وفيما يختص بالتأويل، ولهذا يقال: **تَفْسِيرُ الرَّؤْيَا** وتأوليهما. <sup>(1)</sup> وفي لسان العرب: **الفسر**: **البَيَانُ**. فَسَرَ الشَّيْءَ يُفَسِّرُهُ، بِالْكَسْرِ، وَيُفَسِّرُهُ، بِالضَّمِّ، فَسَرَّاً وَفَسَرَّهُ: أَبَانَهُ، وَالتَّقْسِيرُ مِثْلُهُ؛ وَالْفَسْرُ: كَشْفُ الْمُعَطَّى، وَالتَّقْسِيرُ كَشْفُ الْمُرَادِ عَنِ الْفُظُولِ الْمُشْكُلِ، وَالتأويل: رَدُّ أَحَدِ الْمُحْمَمَلِينَ إِلَى مَا يُطَابِقُ الظَّاهِرَ. وَاسْتَقْسِرَتْهُ كَذَا أَيْ سَأَلْتَهُ أَنْ يُفَسِّرَهُ لِي. وَالْفَسْرُ: نَظَرُ الطَّبِيبِ إِلَى الْمَاءِ، وَكَذَلِكَ الْفَسِيرَةُ. <sup>(2)</sup>

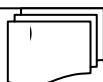
### المبحث الثاني: معنى التفسير في الاصطلاح

أما في الاصطلاح فقد تعددت عبارات العلماء واختلفت أقوالهم في تعريفه وتحديد، ما بين مطْوِلٍ ومقصِّرٍ ومفصِّلٍ وموجزٍ . فقد عرَّفه أبو حيان في البحر المحيط بأنه: علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب، وتنتمى لذلك.<sup>(3)</sup> ثم خرج التعريف فقال: "قولنا: "علم"، هو جنس يشملسائر العلوم، وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن"، هذا هو علم القراءات، وقولنا: "ومدلولاتها" أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية"، هذا يشمل علم التصريف، وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: "ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب"، يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضى بظاهره شيئاً ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يُحمل على الظاهر وهو المجاز، وقولنا: "وتنتمى لذلك"، هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضح

(١) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراوي الأصفهاني ، تحقيق صفوان عدنان الداودي ، ط ١ دار القلم ، الدار الشامية - دمشق بيروت ، ١٤١٢ هـ ٦٣٦/

(٢) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنباري الإفريقي ، ط ٣ دار صادر - بيروت ١٤١٤ هـ ٥٥/٥

(٣) البحر المحيط في التفسير ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، تحقيق صدقى محمد جميل ، ط دار الفكر - بيروت ١٤٢٠ هـ ٢٦/١



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شعوّطه

بعض ما أنبهم في القرآن، ونحو ذلك".<sup>(1)</sup>

وقال الزركشي : التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من: علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ.<sup>(2)</sup> وفي الإنقان : هو علم نزول الآيات وشيوونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكينها ومدنهما، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصتها وعامتها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها.<sup>(3)</sup>

وعرفه الشيخ ابن عاشور رحمة الله حيث قال: هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يُستفاد منها باختصارٍ أو توسيعٍ<sup>(4)</sup>. وعرفه بعضهم بأنه: علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية.<sup>(5)</sup>

ولعلنا نلاحظ أنَّ التعريفين الآخرين، تعريف ابن عاشور – وهو من

المتأخرین – والتعريف الذي نقله الذهبي عن بعضهم، أشمل وأوسع من تعريفات السابقين رحمهم الله ، لكونهما جامعان مانعان - في تقدير الباحث - يدخل فيما آخر ما وصل إليه العلم الحديث من علوم ونظريات وتقنيات معاصرة حيث لا نجد في عبارات السابقين ما يسمح بدخول ما يصل إليه العلم الحديث من حقائق لكن عبارة (باختصار أو توسيع) في تعريف ابن عاشور، وعبارة (بقدر الطاقة البشرية) في التعريف الآخر تحملان معنى الإطلاق وعدم التقيد والتحديد لمعنى التفسير ، وعبارة (بقدر الطاقة البشرية) – على وجه الخصوص – فيها إشارة إلى أهمية طاقة البشر في استنباط أسرار القرآن ومعانيه، وذلك يختلف باختلاف استعدادات البشر وإقبالهم نحو القرآن ، كما يختلف باختلاف الأزمان والعصور ، وما استجد في حياة البشرية

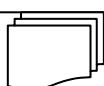
<sup>(1)</sup> التفسير والمفسرون ، د.مجد السيد حسين الذهبي ، ط مكتبة و هبة القاهرة دون ت 13/1

<sup>(2)</sup> البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1376 هـ - 1957 م 13/1 م

<sup>(3)</sup> الإنقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1394 هـ / 1974 م 194/4

<sup>(4)</sup> التحرير والتبيير، مجد الطاهر بن عاشور التونسي ، ط دار سخون للنشر والتوزيع - تونس 1997 - 11/1 م . وانظر: البرهان في علوم القرآن: 148/2

<sup>(5)</sup> التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 13/1



من علوم وتجارب وتطورات واكتشافات حديثة لم تكن موجودة في الأزمنة والعصور السابقة.

### المبحث الثالث: معنى الإشارة في اللغة

الإشارة والإيماء هي الرمز<sup>(1)</sup>. وهي أيضاً: التلويع بشيء يفهم منه ما يفهم من النطق، وأشار إليه وشَوَّرْ: أوما. ويتعدي الفعل بـ(إلى) وـ(على) فإن عدي بـ(إلى) كان المعنى الإيماء باليد ونحوها كما قال تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ ثُكِّلْمَ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِّيَ﴾<sup>(2)</sup> وإن عدي بـ(على) كان المعنى الرأي كقولك: أشار عليه بهذا أي أبي له رأيه.<sup>(3)</sup> وفي اللسان: أشار الرجلُ يُشيرُ إشارةً إذا أومأَ بيدهِ. وَيُقَالُ: شَوَّرْتُ إِلَيْهِ بِيَدِي وَأَشَرْتُ إِلَيْهِ أَيْ لَوَحْتُ إِلَيْهِ وَأَلْحَثْ أَيْضاً. وأشار إليه باليد: أومأَ، وأشار عليه بالرأي. وأشار يُشيرُ إذا ما وَجَهَ الرَّأْيِ.<sup>(4)</sup>

### المبحث الرابع: معنى الإشارة في الاصطلاح

يعد مصطلح الإشارة من المصطلحات التي استخدمها الصوفية بوصفه ملاداً لهم في التعبير عن مشاهدات قلوبهم ومكاشفاتها ، وقد عبر عنها الإمام الألوسي بقوله: معارف سبحانية تتكشف من سجف العبارات للسالكين وتتهلل من سحب الغيب على قلوب العارفين<sup>(5)</sup>. وهي عند الأصوليين بمعنى دلالة اللهيف على المعنى ، من سياق الكلام له ، ويسمى أيضاً بفحوى الخطاب ، أو هي ما ثبت بنص النظم من غير زيادة وَهُوَ غَيْرُ ظَاهِرٍ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ وَلَا سِيقُ الْكَلَامِ لِأَجْلِهِ.<sup>(6)</sup>

### المبحث الخامس: تعريف التقسيم الإشاري

عرفه العلماء بتعريفات كثيرة أهمها: ما جاء عن الإمام الماتريدي حيث قال:  
يقصد بالتقسيم الإشاري: تأويل القرآن على خلاف ظاهره؛ لإشارات خفية تظهر بعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين باهله من أرباب ، السلوك والمجاهدة للنفس ، ممن

<sup>(1)</sup> انظر: القاموس المحيط للطهراوي آبادي، مؤسسة الرسالـةـبيروت ط 5 1416هـ: 659. والمنجد في اللغة لمجموعة من المؤلفين، دار المشرقـبيروت ط 37 1998مـصـ279.

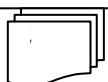
<sup>(2)</sup> سورة مریم الآية 29

<sup>(3)</sup> المنجد في اللغة لمجموعة من المؤلفين، دار المشرقـبيروت ط 37 1998 مـصـ279.

<sup>(4)</sup> لسان العرب، مرجع سابق 4/437

<sup>(5)</sup> روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت دون ت 5/1

<sup>(6)</sup> أصول الشاشي، نظام الدين أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق الشاشي ، ط دار الكتاب العربي – بيروت بدون ت 101/1.



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - شروطه

نور الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم ، وانقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني ، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة<sup>(1)</sup>. وقال ابن عجيبة: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية ، تظهر لأهل السلوك ، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة<sup>(2)</sup>. وعرفه الزرقاني بأنه تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا<sup>(3)</sup>.

وقد فرق بعض العلماء بين التفسير الصوفي النظري والتفسير الإشاري من وجهين اثنين :

أولاً: أن التفسير الصوفي النظري، يبني على مقدمات علمية تندرج في ذهن الصوفي أولاً ، ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك.

أما التفسير الإشاري، فلا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفي نفسه حتى يصل إلى درجة تكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سُحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبانية.

ثانياً: إن التفسير الصوفي النظري ، يرى صاحبه أنه كل ما تحمله الآية من المعاني، وليس وراءه معنى آخر يمكن أن تُحمل الآية عليه، هذا بحسب طاقته طبعاً. أما التفسير الإشاري فلا يرى الصوفي أنه كل ما يُراد من الآية، بل يرى أن هناك معنى آخر تحمله الآية ويراد منها أولاً وقبل كل شيء، وذلك هو المعنى الظاهر الذي ينساق إليه الذهن قبل غيره.<sup>(4)</sup>

### **المبحث السادس: أمثلة التفسير الإشاري**

ولكي يتضح مفهوم التفسير الإشاري نقرب المعنى بمثالين اثنين للتفسير الإشاري وبالمثال يتضح المقال:

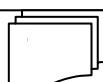
المثال الأول : قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا أَكْثَارٌ إِلَّا أَيْكَامًا مَعْدُودَةً ۚ قُلْ

<sup>(1)</sup> تفسير الماتريدي ، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي المحقق: د. مجدي باسلوم ط دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، 1426 هـ - 2005 م 281 / 1

<sup>(2)</sup> البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدى بن عجيبة الحسنى الصوفي ، تحقيق أحمد عبد الله الفرشى رسلان ، ط مكتبة الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ، 1419 هـ 17/1

<sup>(3)</sup> مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الرُّزْقاني ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشريكه دون ت 78

<sup>(4)</sup> التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 261/2



أَخْذَتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَنَّ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ . يقول الشيخ ابن عجيبة في إشارة الآية: اعلم أن كثيراً من الناس يعتمدون على صحبة الأولياء ، ويطلقون عنان أنفسهم في المعاشي والشهوات ، ويقولون: سمعنا من سيدي فلان يقول: من رأنا لا تمسه النار ، وهذا غلط وغور . <sup>(2)</sup> وقد قال عليه الصلاة والسلام لابنته: (يا فاطمة بنت محمد لا أغنيك عنك من الله شيئاً اشتري نفسك من الله) <sup>(3)</sup> وقال للذى قال: ادع الله أن أكون رفيقك في الجنة ، فقال له (أعني على نفسك بكثرة السجود) <sup>(4)</sup> ويقول الإمام القشيري : الإشارة في هذه الآية لمن مرت على قلبه دعاءه العريضة ، وغلب عليه حسبيه ، فحكم نفسه - لفط غفلته - بأنه من أهل القصة (أي من أهل الطريق الصوفي) ، ويخلد إلى هواجس مناه، فيحكم على الغيب بأنه يتجاوز عنه نسي قبائح ما أسلفه، ويدرك مغالط ما ظنه، فهو عبد نفسه، يغلب عليه حسن ظنه، وفي الحقيقة تعتبره نتائج غفلته ومكره، <sup>(5)</sup> قال تعالى: ﴿ وَذَلِكُمْ طَنَّكُمُ الَّذِي ظَنَّتُمْ بِرِّكُمْ أَرْدِنُكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ <sup>(6)</sup>

المثال الثاني : قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَحَاجُجُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَنَنْأَى عَمَلَنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾ <sup>(7)</sup> يقول ابن عجيبة في إشارة الآية: كل من أقامه الحق في وجهه، ووجهه إليها، فهو عامل الله فيها، قائم بمراد الله منها، وما اختلفت الأفعال إلا من جهة المقاصد، وما تفاوت الناس إلا من جهة الإخلاص، فالخلق كلهم عبيد للملك المجيد، وما وقع الاختصاص إلا من جهة الإخلاص، فمن كان أكثر إخلاصاً لله كان أولى من غيره بالله، وبقدر ما يقع للعبد من الصفاء يكون له من

<sup>(1)</sup> سورة البقرة الآية 80

<sup>(2)</sup> تفسير البحر المديد، مرجع سابق 38/1

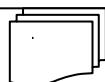
<sup>(3)</sup> مسن الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وأخرون ، بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م حدث رقم 9177

<sup>(4)</sup> المسند ، مرجع سابق حديث رقم 15526

<sup>(5)</sup> لطائف الإشارات ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق إبراهيم البسيوني ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر دون ت 101/1

<sup>(6)</sup> سورة فصلت الآية 23

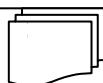
<sup>(7)</sup> سورة البقرة الآية 139



التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شعوّته  
الاصطفاء، فالصوفية والعلماء والعباد والزهاد وأهل الأسباب على اختلاف أنواعهم،  
كلهم عاملون لله، ليس أحد منهم بأولى من غيره بالله، إلا من جهة الإخلاص وإفراد  
القلب لله. فمن ادعى الاختصاص بالله من غير هذه الوجهة فهو كاذب، ومن اعتمد

على عمل غيره فهو مغدور،<sup>(1)</sup> يقال له: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبَتُمْ﴾<sup>(2)</sup>  
﴿وَلَا تُشَكُُنَّ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

<sup>1</sup>) تفسير البحر المديد، مرجع سابق 38/1  
<sup>2</sup>) سورة البقرة الآية 141



### المبحث الأول: منهج التفسير الإشاري

قسم بعض العلماء التفسير إلى ثلاثة أقسام: تفسير بالرواية ويسمى التفسير بالمأثور وتفسير بالدررية ويسمى التفسير بالرأي وتفسير بالإشارة ويسمى التفسير الإشاري.<sup>(1)</sup> وقد تعددت وتنوعت منازع ومناهج المشتغلين بتفسير كتاب الله تعالى. فمنهم من توفرت همهمهم على جمع المأثور في تفسيره من السنة النبوية، وأقوال السلف الصالح، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، دون إعمال للرأي، أو مع إعماله بضوابطه. ومنهم من صرف همه في تفسيره إلى الجانب اللغوي، فبرزت مدارس التفسير اللغوي، والنحو، والبلاغي، والبياني بألوانها الشائعة المعطاءة. ومنهم من آثر الاتجاه الكلامي العقدي، فحفل تفسيره بخوض عباب المباحث العقدية، ونصرة مذهبه على المذاهب الأخرى، في شتى القضايا الكلامية، فكانت موسوعات تفسيرية في هذا الجانب. ومنهم من جنح في تفسيره إلى الجانب الفقهي المذهبي، فكان اللون المعروف بتفاسير الأحكام، وكل منها في مذهب بعينه، وقد استخدمت فيه القواعد الأصولية. ومنهم من غالب عليه الطابع القصصي، فتوسع في الروايات والآثار في معالجة قصص القرآن الكريم، ما بين صحيح ودخيل. وهكذا اتخذ المشتغلون بالتفسير طرائق قدداً، ومنازع شتى، ومناهج متنوعة، ما بين تحليلي، وموضوعي، ومقارن، وتاريجي، واستقرائي. وكلها حقق للمكتبة التفسيرية ثراءً حافلاً فيتناول كتاب الله الخاتم، لم يتبناه ولم يدين منه في تاريخ الوجود توفر على كتاب سواه، وذلك من لوازمه حقيقته ومصاديقه وإعجازه.<sup>(2)</sup>

والذي يعنينا في هذا البحث هو الحديث عن منهج التفسير الإشاري ، ما هي أصوله ومن أين استقى مصادره؟ حيث يرى البعض أن التفسير لا يبلغ بناؤه كماله وتمام مصاديقه في تحقيق وفاء معاني التنزيل بتفسير حقائق الوجود بأسرها إلا بإعمال المنهج الصوفي الإشاري في التفسير، وإحراز نتاج (علم الموهبة) الذي اعتمد أساطير علم القرآن الكريم وتفسيره على أساسها ومصدراً رئيساً للمفسر، ضمن العلوم الخمسة عشر التي يحتاج إليها المفسر، حيث ذكره الإمام السيوطي- رضي الله تعالى عنه- في خاتمتها- بالإتقان- قائلاً: (الخامس عشر: علم الموهبة: وهو علم يورثه

<sup>1</sup>) مناهل العرفان ، مرجع سابق 11/2

<sup>2</sup>) تفسير البحر المديد ، مرجع سابق 16/1

**المبحث الثاني: أصول التفسير الإشاري من القرآن الكريم**

لم يكن التفسير الإشاري بالأمر الجديد في إبراز معاني القرآن الكريم، بل هو أمر معروف من لدن نزوله على رسول الله ﷺ. أشار إليه القرآن، وتبَّأَ عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وعرفه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وقالوا به.

أما إشارة القرآن إليه، ففي قوله تعالى من سورة النساء: ﴿فَمَالِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾<sup>(2)</sup> ، وقوله تعالى في السورة نفسها: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَيْنِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ عَيْنِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْيَالًا كَثِيرًا﴾<sup>(3)</sup> ، وقوله تعالى في سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفَفَالُهَا﴾<sup>(4)</sup>

فهذه الآيات كلها تشير إلى أنَّ القرآن له ظهر وبطن. وذلك لأنَّ الله سبحانه وتعالى حيث ينبع على الكفار أنهم لا يكادون يفهمون حديثاً، ويحضهم على التدبر في آيات القرآن الكريم لا يريد بذلك أنهم لا يفهمون نفس الكلام، أو حضهم على فهم ظاهره ، لأنَّ القوم عرب ، والقرآن لم يخرج عن لغتهم فهم يفهمون ظاهره ولا شك. وإنما أراد بذلك أنهم لا يفهمون عن الله مراده من الخطاب، وحضّهم على أن يتذروا في آياته حتى يقفوا على مقصود الله ومراده، وذلك هو الباطن الذي جعلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم.<sup>(5)</sup> قال الإمام الألوسي في بيان معنى الآية : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ: وأصل التدبر التأمل في أدبار الأمور وعواقبها ثم استعمل في كل تأمل سواء كان نظرا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقة وأعاقابه، والفاء للعطف على مقدار أي يشكون في أن ما ذكر شهادة الله تعالى فلا يتذرون القرآن الذي جاء به هذا النبي ﷺ المشهود له ليعلموا كونه من عند الله فيكون حجة وأي حجة على المقصود- وقيل: المعنى أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة

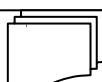
<sup>(1)</sup> الإتقان في علوم القرآن، مرجع سابق 215/4

<sup>(2)</sup> سورة النساء الآية 78

<sup>(3)</sup> سورة النساء الآية 82

<sup>(4)</sup> سورة محمد الآية 24

<sup>(5)</sup> التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 261/2



ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان أي القرآن ، مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ كَمَا يُزَعُّمُونَ لَوْجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا بِأَنْ يَكُونُ بَعْضُ إِخْبَارَاتِهِ الْغَيْبِيَّةُ كَالْإِخْبَارِ عَمَّا يُسَرِّهِ الْمُنَافِقُونَ غَيْرُ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ لَأَنَّ الْغَيْبَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى فَحِيثُ أَطْرَدَ الصَّدْقَ فِيهِ وَلَمْ يَقُعْ ذَلِكَ قَطُّ عَلَمَ أَنَّهُ بِإِعْلَامِهِ تَعَالَى وَمَنْ عَنْهُ<sup>(1)</sup>.

قال الإمام القشيري : تدبر إشارة المعانى بغوص الأفكار ، واستخراج جواهر المعانى بدقائق الاستبطاط ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهَا : أي إن تدبروا القرآن أفضى بهم إلى العرفان ، وأراهم من ظلمة التحير.<sup>(2)</sup>

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَأَلَتْ أُوْيَةٌ يُقْدِرُهَا﴾<sup>(3)</sup> : هو إشارة إلى القلوب وتفاوتها، فمنها ما يسع علمًا كثيرة ومنها من لا يتسع لكثير من العلوم بل يضيق عنها.<sup>(4)</sup>

وقال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين - بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه ، وإتباعهم ما يحبه - ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال عليٌّ : إِلَّا فَهُمَا يَؤْتِيهِ اللَّهُ عَبْدًا فِي كِتَابِهِ ، وَفِي الْأَثْرِ : مِنْ عَمَلٍ بِمَا عَلِمَ وَرَثَهُ اللَّهُ عَلِمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ، وَقَدْ دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى ذَلِكَ فِي غَيْرِ موضع.<sup>(5)</sup>

المبحث الثالث : أصول التفسير الإشاري من السنة النبوية  
أما في السنة النبوية فلم يقف الباحث – بعد اطلاعه على كتب السنة- على حديث صريح في تأصيل التفسير الإشاري ، ولكن جاء في تفسير البحر المديد وفي بعض كتب شروح الحديث<sup>(6)</sup> ما يشير إلى وجود بعض الأحاديث التي يستدل بها على أصل التفسير الإشاري في السنة النبوية ومن ذلك قوله ﴿إِنَّ لِلْقُرْآنِ ظَهِرًا﴾

<sup>(1)</sup> تفسير روح المعانى ، مرجع سابق 5/92

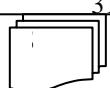
<sup>(2)</sup> لطائف الإشارات ، مرجع سابق 3/413

<sup>(3)</sup> سورة الرعد الآية 17

<sup>(4)</sup> تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، المحقق: محمد حسين شمس الدين ، ط دار الكتب العلمية، منشورات مهد علي بيضون - بيروت - 1419 هـ / 668/2

<sup>(5)</sup> مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، 1416هـ/1995م

<sup>(6)</sup> انظر: مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصاييف، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، ط دار الفكر ، بيروت - لبنان ، 1422هـ - 2002 م/316



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شعوّته

وبطنا وحداً ومطلعاً<sup>(1)</sup> وقد نقل الإمام الذهبي في كتابه حوا مما جاء في البحر المديد حيث قال : وأما تنبئه الرسول ﷺ، فذلك في الحديث الذي أخرجه الفريابي من رواية الحسن مرسلاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : ( لكل آية ظهر وبطن، وكل حرف حد، وكل حد مطلع )<sup>(2)</sup>، وفي الحديث الذي أخرجه الديلمي من رواية عبد الرحمن بن عوف مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال : ( القرآن تحت العرش، له ظهر وبطن يجاج العباد )<sup>(3)</sup>.

ففي هذه الأحاديث تصريح بأنّ القرآن له ظهر وبطن. ولكن ما هو الظاهر وما هو البطن؟ اختلف العلماء في بيان ذلك: فقيل: ظاهرها - أي الآية - لفظها. وباطنها: تأويتها. وقال أبو عبيدة: إن القصص التي قصّها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهؤلاء الأولين، وحديث حدث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا ك فعلهم، فيحمل بهم مثل ما حلّ بهم. ولكن هذا خاص بالقصص، والحديث يعم كل آية من آيات القرآن. وحكي ابن النقيب قوله ثالثاً: وهو أن ظاهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم، وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أهل الحقائق.

هذا هو أشهر ما قيل في معنى الظاهر والبطن. وأما قوله في الحديث الأول: "ولكل حرف حد"، فمعناه على ما قيل: لكل حرف حد، أي منتهى فيما أراد الله من معناه، أو لكل حكم مقدار من التواب والعقاب. والأول أظهر، وقوله: "ولكل حد مطلع"، معناه على ما قيل أيضاً: لكل غامض من المعاني والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ويوافق على المراد به. وقيل: كل ما يستحقه من التواب والعقاب يطلع عليه في الآخرة عند المجازاة، والأول أظهر أيضاً.<sup>(4)</sup>

## المبحث الرابع: أصول التفسير الإشاري في أقوال الصحابة ومروياتهم

أما الصحابة فقد نقل عنهم من الأخبار ما يدل على أنهم عرّفوا التفسير الإشاري وقالوا به، أما الروايات الدالة على أنهم يعرفون ذلك فمنها:

<sup>(1)</sup> لم يقف الباحث على تخرّيجه في كتب السنة المشهورة ولكن جاء في البحر المديد أنه من تخرّيجه ابن حبان، في صحيحه، عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه عنه الحافظ العراقي في (المعني عن حمل الأسفار). بتحقيق ما في الإحياء من الأخبار بحاشية الإحياء (1/88) وانظر تفسير البحر المديد ، مرجع سابق 17/1

<sup>(2)</sup> مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصاصيغ، مرجع سابق 1/316

<sup>(3)</sup> لم يقف على تخرّيجه في كتب السنة المشهورة وقد جاء في البحر المديد أنه من تخرّيجه الديلمي عن سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ وانظر البحر المديد ، مرجع سابق 17/1

<sup>(4)</sup> التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 2/262



ما أخرجه ابن أبي الحاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال: إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايتها، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أخبر فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، ظهره التلاوة، وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء، وجانبوا به السفهاء.<sup>(1)</sup> وروى عن أبي الدرداء أنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها.<sup>(2)</sup> وعن ابن مسعود أنه قال: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن.<sup>(3)</sup>

وأما الروايات الدالة على أنهم فسروا القرآن تفسيرا إشاريا، فما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: "كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمت، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليربهم.

قال: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ لِلَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(4)</sup> فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفر له إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ

أعلم له قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ لِلَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وذلك عالمة أجلك، ﴿فَسَيِّئَ بِهِمْ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرُهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا﴾<sup>(5)</sup>. فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول<sup>(6)</sup>.  
بعض الصحابة لهم يفهم من السورة أكثر من معناها الظاهر، أما ابن عباس وعمر، فقد فهما معنى آخر وراء الظاهر، وهو المعنى الباطن الذي تدل عليه السورة بطريق الإشارة.

وأيضا ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

<sup>(1)</sup> الإنقاذ في علوم القرآن ، مرجع سابق 4/226

<sup>(2)</sup> مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصاصيح ، مرجع سابق 3/315

<sup>(3)</sup> المرجع السابق 1/315

<sup>(4)</sup> سورة النصر الآية 1

<sup>(5)</sup> سورة النصر الآية 3

<sup>(6)</sup> صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط الناشر: دار طوق النجاة (مصوره عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ، 1422 هـ / 4294 ج 5 ص 145



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شعوشه

لَكُمْ دِيَنُكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ بَعْدَمِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيَنًا <sup>(1)</sup>، فرح الصحابة وبكي عمر رضي الله تعالى عنه وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مستشعراً نعيه عليه الصلاة والسلام، فقد أخرج ابن أبي شيبة: "أن عمر رضي الله تعالى عنه لما نزلت الآية بكى، قال النبي ﷺ: "ما يبكيك؟" قال: أبكاني أنا كان في زيادة من ديننا، فلما إذا كمل فإنه يكمل شيء قط إلا نقص، فقال عليه الصلاة والسلام: "صدقت".<sup>(2)</sup> فعمر رضي الله عنه أدرك المعنى الإشاري: وهو نعي رسول الله ﷺ، وأقره النبي على فهمه هذا، وأما باقي الصحابة فقد فرحوا بنزول الآية لأنهم لم يفهموا أكثر من المعنى الظاهر لها.

هذه الأدلة مجتمعة تشير إلى أن القرآن الكريم له ظهر وبطن. ظهر يفهمه كل من يعرف اللسان العربي، وبطن يفهمه أصحاب الموهبة وأرباب البصائر. غير أن المعانى الباطنية للقرآن لا تقف عند الحد الذي تصل إليه مداركنا القاصرة، بل هي أمر فوق ما نظن وأعظم مما نتصور. ولقد فهم ابن مسعود أنّ في فهم معانى القرآن مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً فقال: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله: ﴿مَا فَرَّطَنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(3)</sup> ، وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَا كَنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَنَ يَكْدِيهِ وَتَقْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(4)</sup>.

**المبحث الخامس : أقسام التفسير الإشاري**  
قسم بعض العلماء التفسير الإشاري إلى ثلاثة أقسام هي : التفسير الإشاري اللغطي والتفسير الإشاري المعنوي والتفسير الإشاري الرمزي . وسنتناول كل قسم بالشرح والبيان .

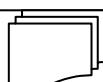
**أولاً : التفسير الإشاري اللغطي**  
ويقصد بالتفسير الإشاري اللغطي: التفسير المرتبط بإشارة لفظة خاصة يستدل بها على معنى آخر يستبطن معناها في سياقها العام، ومن هذا النوع من التفسير ما استدل به العز بن عبد السلام على صحة أنكحة الكفار من قوله تعالى ﴿ وَمَرْأَتُهُ ﴾

<sup>(1)</sup> سورة المائدah الآية 3

<sup>(2)</sup> جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن حرير بن يزيد بن كثير ، أبو جعفر الطبرى ، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط مؤسسة الرسالات 1420 هـ - 2000 م 519/9

<sup>(3)</sup> سورة الأنعام الآية 38

<sup>(4)</sup> سورة يوسف الآية 111



حَمَالَةَ الْحَاطِبِ<sup>(1)</sup> ومنه أيضاً ما استدل به المفسرون من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمُؤْودِ

لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكَسْوَاهُنَّ﴾<sup>(2)</sup> بأنه عبر عنه بهذه العبارة إشارة إلى جهة وجوب المؤمن عليه؛

لأن الوالدات إنما ولدن للأباء ولذلك ينسب الولد للأب دون الأم.<sup>(3)</sup>

### ثانياً : التفسير الإشاري المعنوي

ويقصد بالتفسير الإشاري المعنوي: التفسير المرتبط بإشارة المعنى العام للآية أو السورة، وهي الدلالة على معنى آخر يستبطن المعنى الإجمالي فهما يؤتيه الله من يشاء من عباده لا يخالف نصاً، ولا يجافي لفظاً، ولا يجاوز معنى حقاً. ومن هذا النوع ما سبق ذكره من استدعاء عمر لابن عباس -رضي الله عنهم- في مجلسه مع شيوخ بدر -رضي الله عنه-. وسؤال عمر لهم: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ

اللهُ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ، أعلم له قال: (إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ) وذلك علامه أجلك، (فَسَيِّخَ بِحَمْدٍ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَةً إِنَّهُ كَانَ تَوَابًا) فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.<sup>(4)</sup>

وقد سبقت الإشارة إلى هذا اللون من التفسير الإشاري – في بحثنا هذا - في سياق استعراض أدلة التفسير الإشاري وبيان أصوله من أقوال الصحابة . وهذا النوع من التفسير الإشاري بقسميه (اللفظي والمعنوي) هو التفسير الإشاري السليم، فهو لا يعكر معنى ولا يخالف نصاً، ولا يجافي لفظاً بل يستمد مقوماته من النص الماثل أمامه من غير تحريف ولا تأويل خارج عن حدود الدين واللغة، وهو الذي تدل عليه التصوّص والأدلة التي استدلوا بها لصحة التفسير الإشاري إذ هذا هو ما تدل عليه.<sup>(5)</sup>

### ثالثاً : التفسيري الإشاري الرزمي

أما هذا النوع من التفسير الإشاري فهو الذي يجب أن نفرق بينه وبين النوعين

<sup>(1)</sup> سورة المسد الآية 4

<sup>(2)</sup> سورة البقرة الآية 233

<sup>(3)</sup> اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، رئاسة إدارات البحث العلمية والاقناء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ، 409/1 1407 هـ 1986 م

<sup>(4)</sup> صحيح البخاري مرجع سابق 145/5

<sup>(5)</sup> اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مرجع سابق 409/1



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - شعوشه

السابقين من أنواع التفسير الإشاري، فهو تفسير صوفي يعتمد في سبيل الوصول إلى المعرفة على منهج قوامه الوجد والذوق والترقي في مقاماتهم، حتى يصل المتصوف مقام العرفان فتفيض عليه - بزعمهم - مكنونات العلم وأسرار المعرفة، بل يصل إلى أبعد من هذا فتفوض جملة الأمور إليه بحيث لا يسقط ورق من شجر إلا باذن وكتاب وأجل منه، وليس وراء هذه مقام ومرتبة. وهذا التفسير هو الذي تكثر فيه الألفاظ الغامضة والطلasm والاصطلاحات، كما تكثر فيه عبارات العشق والشوق، حيث جعل الحج عند العارفين حج الروح إلى القلب الذي هو بيت الله العاهر وليس إلى بيت الخليل! وزعم حلاوة المعاني راحا طهورا من شربها هام في الحبيب، وجعل الذكر تردید لفظ: (الله الله) حتى يشرق عليك نور الاسم، وجعل شهادة الأولياء بقتلهم بسيوف المحبة وسهام مخالفة النفس ونحو ذلك.<sup>(1)</sup> فهذا النوع من التفسير الإشاري هو الذي أنكره العلماء لمخالفته الصريحة لظاهر النصوص القرآنية على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

### الفصل الثالث

#### آراء العلماء في التفسير الإشاري وشروط قبوله

##### **المبحث الأول : رأي العلماء في التفسير الإشاري**

اختلف العلماء في قبول التفسير الإشاري أو رده، فمنهم من قبله، ومنهم من اعتبره من صفات الكمال والعرفان، ومنهم من رده، ومنهم من اعتبره إلحادا في آيات الله وخروجا به عن الحق. ونستعرض فيما يلي بعض آرائهم وأقوالهم، بدءاً بالمتقدمين منهم ثم المتأخرین .

##### **أولاً : الإمام الغزالى**

قال في إحياء علوم الدين : ما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك وإنما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزاره علومهم وصفاء قلوبهم وتتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقي إلى درجة أعلى منه؛ فأما الاستيفاء فلا مطعم فيه ولو كان البحر مدادا والأشجار أقلاً مما فأسار كلمات الله لا نهاية لها فتنفذ الأبحر قبل أن تنفذ كلمات الله عز وجل؛ فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير. وظاهر التفسير لا يعني عنه؛ فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا . وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر عليه وليس اللفظ هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو

<sup>(1)</sup> اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ، مرجع سابق 409/1

استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما ينافق الظاهر والله أعلم .<sup>(1)</sup>

وقد انتقد الإمام الغزالى بعض شطحات الصوفية لمفهوم التفسير الإشاري حيث قال : وأما الشطح فمعنى به صنفين من الكلام أحدهه بعض الصوفية ، أحدهما: الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصل المعني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤيا والمشاهدة بالخطاب فيقولون: قيل لنا كذا، وقلنا كذا . وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم ، وأظهروا مثل هذه الدعاوى ، فإن هذا الكلام يستلنه الطبع إذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال . والصنف الثاني من الشطح: كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل إما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لفترة إحاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر.<sup>(2)</sup>

### ثانياً : الإمام ابن الصلاح:

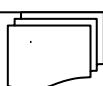
أورد الإمام ابن الصلاح في فتاويه : (مسألة) : سأل سائل في كلام الصوفية في القرآن كالجنيد وغيره وكان السائل عن هذا ينكر ما سمع من ذلك وكان يجالس شيخا من المفتين فجرى ذلك في مجلسه فابتدا الشيخ وقال كالمستحسن لكلام الصوفية : هم لا يريدون به تفسير القرآن وإنما هي معانٍ يجدونها عند التلاوة ؛ وقال أيضا يقولون : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ أَمْتُنُوا قَبْلُهُ الَّذِينَ يَأْوِيُّكُمْ مِّنَ الْكُفَّارِ﴾<sup>(3)</sup> قالوا : هي النفس وكان الشيخ المفتى يشرح ذلك ويقول : أمرنا بقتل من يلينا لأنهم أقرب شرا إلينا وأقرب شرا إلى الإنسان نفسه . وقال الشيخ أيضا : يقولون ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾<sup>(4)</sup> يقول نوح العقل والغرض أنهم يلقي الله عندهم في كلامه ما ينتفعون به وهذا قد صدر عن أكابرهم والجم الغير وأنتم بذلك أعلم والسائل لهذا ليس بجاهل وليس غرضه إلا الاعتصاد بما يسمع من الشيخ نقي الدين رضي الله عنه واحد لا يجهل أن

<sup>(1)</sup> إحياء علوم الدين، مرجع سابق 293/1

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه 271/1

<sup>(3)</sup> سورة النون الآية 123

<sup>(4)</sup> سورة نوح الآية 1



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شروطه

قوله تعالى: ﴿قَاتَلُوا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ ليس المراد به النفس وإن المراد ظاهر ومن قال غير ذاك فهو مخطئ.

فأجاب رضي الله عنه : وجدت عن الإمام أبي الحسن الواهبي المفسر رحمة الله أنه قال : صنف أبو عبد الرحمن السلمي حائق التفسير فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسيرا فقد كفر ؛ وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثل ذلك أنه لم يذكر تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة المذكورة في القرآن العظيم فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسالك الباطنية وإنما ذلك ذكر منهم لنظير ما ورد به القرآن فإن النظير يذكر بالنظير فمن ذكر قتال النفس في الآية المذكورة فكانه قال أمرنا بقتال النفس ومن يليها من الكفار ، ومع ذلك فيما ليتهم لم يتتساهموا بمثل ذلك لما فيه من الإيهام والالتباس والله أعلم .<sup>(1)</sup>

### **ثالثاً : الإمام ابن تيمية**

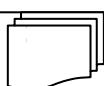
قال ابن تيمية : ومتى كان المعنى صحيحاً والدلالة ليست مراده فقد يسمى ذلك إشارة وقد أودع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي حائق التفسير من هذا قطعة . وقال أيضاً : فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى إشارة حالية - وهي إشارتهم بالقلوب - وذلك هو الذي امتازوا به وليس هذا موضعه . وتنقسم إلى إشارات المتعلقة بالأقوال : مثل ما يأخذونها من القرآن ونحوه، فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس وإلحاد ما ليس بمنصوص بالمنصوص مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال ودرجات الرجال ونحو ذلك؛ فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح كانت حسنة مقبولة وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه وإن كان تحريفاً للكلام عن مواضعه وتلويلاً للكلام على غير تأويله كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية فتدبر هذا فإني قد أوضحت هذا في قاعدة الإشارات .<sup>(2)</sup> وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون ما دل اللفظ عليه ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار وهذا حق إذا كان قياساً صحيحاً لا فاسداً واعتباراً مستقيماً لا منحرفاً .<sup>(3)</sup>

### **رابعاً : الإمام ابن القيم**

<sup>(1)</sup> فتاوى ابن الصلاح ، عثمان بن عبد الرحمن ، أبو عمرو ، تقي الدينالمعروف بابن الصلاح ، المحقق: د. موفق عبد الله عبد القادر طكتبة العلوم والحكم ، عالم الكتب - بيروت ، 1971 هـ 1407 هـ

<sup>(2)</sup> مجموع الفتاوى ، مرجع سابق 384/6

<sup>(3)</sup> مجموع الفتاوى ، مرجع سابق 28/2



## ١- فيصل محمود آدم

قال ابن القيم: الإشارات : هي المعاني التي تشير إلى الحقيقة من بُعد ، ومن وراء حجاب ، وهي تارة تكون من مسموع ، وتارة تكون من مرئي ، وتارة تكون من معقول ، وقد تكون من الحواس كلها . فالإشارات: من جنس الأدلة والأعلام، وسببها: صفاء يحصل بالجمعيَّة فيلطف به الحس والذهن فيستيقظ لإدراك أمور لطيفة لا يكشف حس غيره وفهمه عن إدراكتها .<sup>(١)</sup> وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - فلس الله روحه - يقول : الصحيح منها: ما يدل عليه اللفظ بإشارته من باب قياس الأولى. قلت: مثاله قوله تعالى: ﴿لَا يَمْسِهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن تيمية: والصحيح في الآية أن المراد به الصحف التي بأيدي الملائكة ، لكن تدل الآية بإشارتها على أنه لا يمس المصحف إلا ظاهر لأنه إذا كانت تلك الصحف لا يمسها إلا المطهرون لكرامتها على الله بهذه الصحف أولى أن لا يمسها إلا ظاهر؛ ومن هذا : أن استقبال القبلة في الصلاة شرط لصحتها وهي بيت الرب ، فتوجه المصلى إليها ببدنه وقلبه شرط ، فكيف تصح صلاة من لم يتوجه بقلبه إلى رب القبلة والبدن؟ بل وجه بدنه إلى البيت ووجه قلبه إلى غير رب البيت . وأمثال ذلك من الإشارات الصحيحة التي لا تتال إلا بصفاء الباطن وصحة البصيرة وحسن التأمل . قال صاحب المنازل : في بيان معنى قوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيَتْ﴾<sup>(٣)</sup> يعني : إذا نسيت غيره ونسيت نفسك في ذكرك ثم نسيت ذكرك في ذكره ثم نسيت في ذكر الحق إياك كل ذكر .<sup>(٤)</sup>

قال ابن قيم : لَيْتَهُ - قدس الله رُوْحَهُ - لَمْ يَقُلْ فَلَا وَاللهُ مَا عَنِي اللهُ هَذَا الْمَعْنَى، وَلَا هُوَ مُرَادُ الْآيَةِ وَلَا تَقْسِيرُهَا عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ وَلَا مِنَ الْخَلْفِ. وَتَقْسِيرُ الْآيَةِ عِنْدَ جَمَاعَةِ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّكَ لَا تَقْلِلُ لِشَنْسِيَّهُ: أَفَعُلُ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى تَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللهُ. فَإِذَا نَسِيَتْ أَنْ تَقُولُهَا فَقُلْهَا مَتَى ذَكَرْتَهَا. وَهَذَا هُوَ الْإِسْتِنْثَاءُ الْمُتَرَاجِيُّ الَّذِي جَوَزَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَنَأَوَلَ عَلَيْهِ الْآيَةَ. وَهُوَ الصَّوَابُ.<sup>(٥)</sup>

## خامساً: الإمام الشاطبي

قال في المواقف وقد ذكر نماذج من التفسير الإشاري عن سهل التستري : ولكن له وجه جار على الصحة وذلك أنه لم يقل إن هذا هو تفسير الآية ولكن أتى بما

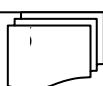
<sup>(١)</sup> مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طدار الكتاب العربي - بيروت، 1416 هـ - 1996 م 389/2

<sup>(٢)</sup> سورة الواقعة الآية 79

<sup>(٣)</sup> سورة الكهف الآية 24

<sup>(٤)</sup> مدارج السالكين مرجع سابق 403/2

<sup>(٥)</sup> مدرج السالكين، مرجع سابق 403/2



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شعوّته

هو ند في الاعتبار الشرعي الذي شهد له القرآن من جهتين : إحداهما : أن الناظر قد يأخذ من معنى الآية معنى من باب الاعتبار فيجريه فيما لم تنزل فيه لأنه يجامعه في القصد أو يقاربه.<sup>(1)</sup> ثم قال : وإنما احتيج إلى هذا كله لجلالة من نقل عنهم ذلك "أي التفسير الإشاري" من الفضلاء وربما ألم الغزالي بشيء منه في الإحياء وغيره وهو مزلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم فإن الناس في أمثال هذه الأشياء بين فائلين : منهم من يصدق به ويأخذ على ظاهره ويعتقد أن ذلك هو مراد الله تعالى من كتابه وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافة فربما كذب به أو أشكل عليه . ومنهم من يكذب به على الإطلاق ويرى أنه تقول وبهتان مثل ما تقدم من تفسير الباطنية ومن هذا حذوه وكلا الطريقين فيه ميل عن الإنصاف .<sup>(2)</sup>

ثم قال : إن تلك الأنظار الباطنة في الآيات المذكورة إذا لم يظهر جريانها على مقتضى شروط قبول التفسير فهي راجعة إلى الاعتبار غير القرآني وهو الوجودي ويصح تنزيله على معاني القرآن لأنّه وجودي أيضا فهو مشترك من تلك الجهة غير خاص فلا يطالب فيه المعتبر بشاهد موافق إلا ما يطالبه المربي وهو أمر خاص وعلم منفرد بنفسه لا يختص بهذا الموضع فلذلك يوقف على محله، فكون القلب جاراً ذا قربى والجار الجنب هو النفس الطبيعي، إلى سائر ما ذكر (التسري) يصح تنزيله اعتباريا مطلقا فإن مقابلة الوجود بعضه ببعض في هذا النمط صحيح وسهل جدا عند أربابه غير أنه مغرر بمن ليس براسخ أو داخل تحت إيمالية راسخ . وأيضا فإن من ذكر عنه مثل ذلك من المعتبرين لم يصرح بأنه المعنى المقصود المخاطب به الخلق بل أجرأه مجرأه وسكت عن كونه هو المراد وإن جاء شيء من ذلك وصرح صاحبه أنه هو المراد فهو من أرباب الأحوال الذين لا يفرقون بين الاعتبار القرآني والوجودي وأكثر ما يطراً هذا لمن هو بعد في السلوك سائر على الطريق لم يتحقق بمطلوبه، ولا اعتبار بقول من لم يثبت اعتبار قوله من الباطنية وغيرهم وللℊزالي في مشكاة الأنوار وفي كتاب الشكر من الإحياء وفي كتاب جواهر القرآن في الاعتبار القرآني وغيره ما يتبيّن به لهذا الموضع أمثلة فتأملها هناك والله الموفق.<sup>(3)</sup>

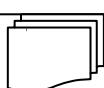
**سادساً : الشيخ بن عاشور :**

قال ابن عاشور : أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية في بعض آيات

<sup>(1)</sup> المواقفات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، ط دار المعرفة – بيروت ، تحقيق: عبد الله دراز 399/3

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه 142/1

<sup>(3)</sup> المواقفات ، مرجع سابق 3/405



## دـ فـيـصـلـ مـحـمـودـ آـدـمـ

القرآن من معان لا تجري على الفاظ القرآن ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسيراً للقرآن بل يعنون أن الآية تصلح للتمثيل بها في الغرض المتكلم فيه وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات ولم يسموها معاني بذلك فارق قولهم قول الباطنية.

ثم قال: وعندني إن هذه الإشارات لا تعدوا واحداً من ثلاثة أنحاء : الأول ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شيء بذلك المعنى كما يقولون مثلاً في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ﴾<sup>(1)</sup> أنه إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس ومنها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية ، وسعى في خرابها بتکديرها بالتعصبات وغلبة الهوى ، فهذا يشبه ضرب المثل لحال من لا يزكي نفسه بالمعرفة ويمنع قبله أن تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانع المساجد أن يذكر فيها اسم الله ، وذكر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل. الثاني : ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده ، والذي يجول في خاطره ، وهذا

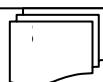
كمن قال في قوله تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ ﴾<sup>(2)</sup> : من ذل ذي إشارة للنفس يصير من المقربين للشعاع ، فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع ويتأوله على ما شغل به قلبه . ورأيت الشيخ محى الدين يسمى هذا النوع ساماً ولقد أبدع . الثالث : عبر ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرأوا القرآن وتذربوه فاتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى: ﴿ فَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَلَأَخْذَنَاهُ أَخْذًا وَبِلًا ﴾<sup>(3)</sup> اقتبسوا فإن القلب الذي لم يتمثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالا . ومن حكاياتهم في غير باب التفسير أن بعضهم مر برجل يقول لآخر: هذا العود لا ثمرة فيه فلم يعد صالحًا إلا للنار ، فجعل يبكي ويقول: إذن فالقلب غير المثير لا يصلح إلا للنار.

فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة ولا يتنفع بها غير أولئك ، فلما كانت آيات القرآن

<sup>(1)</sup> سورة البقرة الآية 114

<sup>(2)</sup> سورة البقرة الآية 255

<sup>(3)</sup> سورة المزمل الآية 16



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شعوّته

قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للاية . فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللغوية والاستعمالية حتى تكون من لوازם اللفظ وتواتره كما قد تبين . وكل إشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عادها فهي تقترب إلى قول الباطنية رويداً رويداً إلى أن تبلغ عين مقالاتهم وقد بصرناكم بالحد الفارق بينهما ، فإذا رأيتم اختلاطه فتحققوا مناطه ، وفي أيديكم فيصل الحق فدونكم اختراطه .<sup>(1)</sup>

### **سابعاً : الشيخ الزرقاني :**

قال الزرقاني: وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور ( الإشاري ) فمنهم من أجازه ومنهم من منعه . ومن هنا يعلم الفرق بين تفسير الصوفية المسمى بالتفسير الإشاري وبين تفسير الباطنية الملاحدة، فالصوفية لا يمنعون إرادة الظاهر بل يحضرون عليه ويقولون لا بد منه أولاً ، إذ من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر كمن ادعى بلوغ سطح البيت قبل أن يجاوز الباب . وأما الباطنية فإنهم يقولون: إن الظاهر غير مراد أصلاً وإنما المراد الباطن وقصدهم نفي الشريعة .<sup>(2)</sup> ونقل السيوطي في الإنقاٰن عن ابن عطاء الله في لطائف المتن ما نصه : أعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعانٰي الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له ودللت عليه في عرف اللسان ولهم أفهم باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث لكل آية ظهر وبطن فلا يصدقك عن تلقي هذه المعانٰي منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله ﷺ فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم يقولون ذلك بل يقررون الظواهر على ظواهرها مراداً بها موضوعاتها وبفهمون عن الله ما أفهمهم .<sup>(3)</sup>

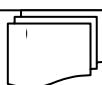
### **ثامناً : الإمام الذهبي**

يقول الإمام الذهبي بعد استعراضه لأقوال بعض الصوفية في بيان المعاني الإشارية مثل الإمام ابن عربى والإمام الألوسي : ومثل هذه الأقوال أشبه ما تكون بالإكراه لنا على قبول وجودانيات القوم وشطحاتهم مهما أوغلت في البعد والغرابة، وتوريط لنا بتسلیم كل ما يقولون تحت تأثير ما لهم في نفوسنا من المكانة العلمية والدينية، ومهما يكن من شيء فأنا عند رأيي لا أتحول عنه، حتى إذا ما جعت جوع القوم، وسهرت سهرهم، ووجدت مواجهتهم، سلمت لهم بكل ما يقولون "ومن ذاق

<sup>(1)</sup> التحرير والتغیر ، مرجع سابق 36/1

<sup>(2)</sup> مناهل العرفان ، مرجع سابق 2/79

<sup>(3)</sup> الإنقاٰن في علوم القرآن ، مرجع سابق 4/227



والخلاصة.. أن مثل هذه التفاسير الغريبة للقرآن، مذلة قدم لمن لم يعرف مقاصد القوم، ولি�تهم احتفظوا بها عند أنفسهم، ولم يذيعوها على الناس فيوقعون في حيرة واختلاف، منهم من يأخذها على ظاهرها ويعتقد أن ذلك هو مراد الله من كلامه، وإذا عارضه ما ينقل في كتب التفسير على خلافه فربما كذب به أو أشكل عليه، ومنهم من يكتنفها على الإطلاق، ويرى أنها تقول على الله وبهتان، ليتهم فعلوا ذلك، إذن لأن راحونا من هذه الحيرة، وأراحوا أنفسهم من كلام الناس فيهم، وقدف البعض لهم بالكفر والإلحاد في آيات الله.<sup>(1)</sup>

## المبحث الثاني : شروط قبول التفسير الإشاري

بعد استعراض أقوال العلماء - المتقدمين منهم والمتاخرین - وآرائهم في

التفسير الإشاري يحسن بنا في هذا المبحث أن نلخص أهم شروط قبول التفسير الإشاري حتى نضبط ميزان الحق ليكون عدلاً ووسطاً بين مغالاة المنكريين للتفسير الإشاري وبين من يريدونه شطحاً وشططاً بعيداً عن الفهم مجازياً لقوانين العربية مخالفًا لمقاصد القرآن .

وقد أحسن الإمام الذهبي حيث لخص هذه الشروط بعد حديثه عن التفسير الإشاري قائلاً : تبين لنا فيما سبق أن التفسير الإشاري منه ما هو مقبول، ومنه ما ليس بمقبول، فعلينا بعد ذلك أن نذكر الشروط التي يجب أن تتوفر في التفسير الإشاري - وإن كنا تعرضاً لأهمها فيما سبق - حتى يكون تفسيراً مقبولاً .. وإليك هذه الشروط: أولاً: أن لا يكون التفسير الإشاري منافياً للظاهر من النظم القرآني الكريم.

ثانياً: أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

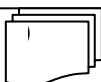
ثالثاً: أن لا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

رابعاً: أن لا يدعى أن التفسير الإشاري هو المراد وحده دون الظاهر، بل لا بد أن نعرف بالمعنى الظاهر أولاً، إذ لا يطبع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن أدعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب.<sup>(2)</sup>

ثم قال: إذا علمت هذا ، علمت بصورة قاطعة أنه لا يمكن لعاقل أن يقبل ما

<sup>1</sup>) التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 279/2

<sup>2</sup>) التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 280/2



## التفسير الإشاري للقرآن مفهومه - أصوله - أقسامه - شعوّته

نقل عن بعض المتصوفة من أنه فسر قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(1)</sup> فقال: معناه من (ذل) من الذل (ذي) إشارة إلى النفس (يشف) من الشفاء (ع) أمر من الوعي. وما نقل عن بعضهم من أنه فسر قوله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(2)</sup>. فجعل (لمع) فعلاً ماضياً بمعنى أضاء، و (الْمُحْسِنِينَ) مفعوله.<sup>(3)</sup>

هذا التفسير وأمثاله إلحاد في آيات الله، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيَءَابِتَنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾<sup>(4)</sup>.

قال الألوسي في تفسير هذه الآية: "أي ينحرفون في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة فيحملونها على المحامل الباطلة، وهو مراد ابن عباس بقوله: يضعون الكلام في غير موضعه".<sup>(5)</sup>

هذه هي الشروط التي إذا توفرت في التفسير الإشاري كان مقبولاً، ومعنى كونه مقبولاً عدم رفضه لا وجوب الأخذ به، أما عدم رفضه فلأنه غير مناف للظاهر ولا بالغ مبلغ التعسف، وليس له ما ينافيه أو يعارضه من الأدلة الشرعية. وأما عدم وجوب الأخذ به، فلأنه من قبيل الوج данيات، والوجدانيات لا تقوم على دليل ولا تستند إلى برهان، وإنما هي أمر يجده الصوفي من نفسه، وسر بينه وبين ربه. فله أن يأخذ به ويعمل على مقتضاه، دون أن يلزم به أحداً من الناس سواه.<sup>(6)</sup>

وقد ذكر الشيخ الزرقاني نفس هذه الشرط مع اختلاف في ترتيبها وزاد عليها شرطاً خامساً وهو ألا يكون تأويلاً بعيداً سخيفاً كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بجعل كلمة (لمع) ماضياً وكلمة (الْمُحْسِنِينَ) مفعوله. ثم قال: كذلك اشترطوا ، بيد أن هذه الشرط متداخلة فيمكن الاستغناء بالأول عن الثالث وبالخامس عن الرابع ويحسن ملاحظة شرطين بدلهما أحدهما بيان المعنى الموضوع له اللفظ

<sup>(1)</sup> سورة البقرة الآية 255

<sup>(2)</sup> سورة العنكبوت الآية 69

<sup>(3)</sup> التفسير والمفسرون، مرجع سابق 280/2

<sup>(4)</sup> سورة فصلت الآية 40

<sup>(5)</sup> انظر تفسير روح المعانى ، مرجع سابق 12/378

<sup>(6)</sup> التفسير والمفسرون ، مرجع سابق 280/2



## دـ فـيـصـلـ مـحـمـودـ آـدـمـ

الكريم أو لا ثانيهما ألا يكون من وراء هذا التفسير الإشاري تشوبيش على المفسر له .  
ثم إن هذه شروط لقبوله بمعنى عدم رفضه فحسب وليس شروطاً لوجوب إتباعه  
والأخذ به ذلك لأنه لا يتنافي وظاهر القرآن ثم إن له شاهداً يعده من الشرع وكل ما  
كان كذلك لا يرفض وإنما لم يجب الأخذ به لأن النظم الكريم لم يوضع للدلالة عليه بل  
هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها غير منضبطة بلغة ولا مقيدة بقوانين .<sup>(1)</sup>

<sup>(1)</sup> منهاج العرفان ، مرجع سابق 81/2



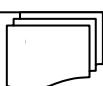
خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تناول الخيرات والبركات ، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .. في ختام هذا البحث المتواضع نحاول أن نشير إلى أهم نتائجه: أو لاً: يعد التفسير الإشاري لوناً من ألوان التفسير القرآني وطريقاً من طرق بيانه، وخلاصة القول في معناه ومفهومه أنه تأويل القرآن على خلاف ظاهره؛ لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك ، والمجاهدة للنفس ، ومن نور الله بسائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم ، وانقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة بواسطة الإلهام الإلهي أو الفتح الرباني ، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر المراد من الآيات الكريمة.

ثانياً : يختلف التفسير الإشاري السليم عن التفسير الصوفي الباطني الفاسد ، فالباطنية يصرفون الآية عن معناها المنقول أو المعقول إلى ما يوافق بغيتهم ، بدعوى أنَّ هذا هو مراد الله دون ما سواه . وأما أصحاب الإشارات ؛ فإنهم جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقرُّوها على نصابها ، لكنهم زعموا أن وراءها معانٍ غامضة خفية وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ ، فعبروا إليها بالفکر ، واعتبروا منها في سبيل الذكر.

ثالثاً : للتفسير الإشاري السليم شروط وضوابط تتلخص في الآتي :

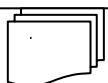
- إلا يتناهى وما يظهر من معنى النظم الكريم.
  - إلا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.
  - إلا يكون تأليلاً بعيداً سخيفاً مجافياً لقوانين اللغة العربية التي نزل بها القرآن
  - إلا يكون له معارض شرعي أو عقلي.
  - أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.
  - إلا يكون من وراء هذا التفسير الإشاري تشويش على المفسّر له.
- والله من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل . وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعلمين وعلى آله وصحبه أجمعين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



د. فيصل محمود آدم

---

العدد السادس 1436هـ



مجلة كلية القرآن الكريم

2015م